



شرح

كتاب التوحيد

لصاحب الفضيلة الشيخ:

د. عبد المحسن محمد الفهمي

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

يقوم عليها مجموعة من طلاب الشيخ

❖ قناة التيليجرام ❖

فوائد علمية للاشتراك اضغط هنا

وَلَا بِنَ مَا جَهَ : عَنِ الطُّفَيْلِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَخِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لِأُمِّهَا قَالَ : «رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ ، فَقُلْتُ : إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ : عَزِيرُ ابْنِ اللهِ . قَالُوا : وَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ .

ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى ، فَقُلْتُ : إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ : الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ . قَالُوا : وَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ .

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ ؛ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَخْبَرْتُهُ ؛ فَقَالَ : «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟ قُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ : فَحَمَدَ اللهُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَتْ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنِّي أَنهَاكُمُ عَنْهَا ؛ فَلَا تَقُولُوا : مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ ، وَلَكِنْ قُولُوا : مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ» .

الشرح: 1:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ : (وَلَا بِنَ مَا جَهَ : عَنِ الطُّفَيْلِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَخِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لِأُمِّهَا قَالَ : «رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ» ، (رَأَيْتُ) أَي : رُؤْيَا فِي الْمَنَامِ كَمَا فِي مَسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ، (كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ) الْنَفَرُ : مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ ، (مِنَ الْيَهُودِ ، فَقُلْتُ : إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمُ) أَي : نَعَمِ الْقَوْمِ ، (لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ : عَزِيرُ ابْنِ اللهِ) عَزِيرٌ : يَعْتَقِدُ الْيَهُودُ بِأَنَّهُ ابْنُ اللهِ ؛ لِأَنَّهُ حَفِظَ التَّوْرَةَ ، وَالتَّوْرَةَ لَمْ يَكُنْ يَحْفَظُهَا أَحَدٌ ، فَفَضَّلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِأَنَّهُ يَحْفَظُ هَذَا الْقُرْآنَ الصَّبِيَّانِ الصَّغَارَ ، وَقَوْلُهُ : (لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ : عَزِيرُ ابْنِ اللهِ) دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمَعْصِيَةَ تُنْقِصُ قَدْرَ الْأَقْوَامِ ، وَتَهِينُهُمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الَّذِي صَغُرَ مِنْ مَكَانَتِهِمْ ، وَسَلَبَ مِنْهُمْ الْمَدْحَ هُوَ الشَّرِكُ بِاللَّهِ ، قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠] ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ١٥٢] .

(قَالُوا) أي : اليهود ، (وَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ) أي : أنكم تقولون في الشرك الأصغر فدل على أن اليهود في عصر النبي ﷺ عندهم علم قد يخفى على بعض الصحابة ، قال : (ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى ، فَقُلْتُ : إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ : الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ) لأنه خلق من غير أب ، فقالوا : إنه ولد لله وهذه طائفة من النصارى ، وطائفة أخرى قالوا : إن عيسى هو الإله فهو الذي يدبر الكون - والعياذ بالله - ، وطائفة ثالثة : قالوا إن عيسى ابن الله وأن أمه زوجة لله تعالى الله عن ذلك ، ﴿أَنْنَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَحْبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١] والله عز وجل قال عن هذه الطائفة : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] وهم الذين يقولون بالتثليث : يعني : الرب ، وعيسى ، وأمه .

(قَالُوا) أي : النصارى ، (وَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ) فدل أيضاً على أن النصارى يعلمون الشرك ، ودل على أن هذه الكلمة من الشرك الأصغر ؛ لأن النبي ﷺ لم يؤمر باخبارها لهم .

قال : (فَلَمَّا أَصْبَحْتُ) أي : استيقظت من المنام ، ثم طلع الصبح ، (أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ) وهذه السنة : أن الإنسان يُخبر بالرؤيا الصالحة من يحب (، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَخْبَرْتُهُ ؛ فَقَالَ : «هَلْ أَخْبَرْتُ بِهَا أَحَدًا؟ قُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ : فَحَمَدَ اللَّهُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ) فدل على أن النبي ﷺ يستفتح خطبه بحمد الله والثناء عليه مثل لو قال : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يول الدين . قال الله عز وجل : فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال أثني علي عبدي . وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال : مجدني عبدي .² فهذه الكلمات الثلاث : أعظم ثناء وحمد ، وتمجيد لله .

قال : (ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ طُفَيْلاً رَأَى رُؤْيَا) وهذا يدل على أن النبي ﷺ كان يهتم برؤى الصحابة ، ففي صحيح البخاري كان النبي ﷺ كثيراً إذا صلى الصبح يقول : «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا»³

² انظر صحيح مسلم: (٣٩٥) .

³ انظر صحيح البخاري: (٧٠٤٧) .

والرؤى تنقسم إلى ثلاثة أقسام : رؤيا صالحة ، ورؤيا من الشيطان ، ورؤيا أضغاث احلام
والرؤى إذا كان فيها تشريع ، يعني : زيادة في الدين فلا يلتقت إليها إذا لم يقرها النبي ﷺ سواء في
حياته أو بعد مماته ، وإذا أقرها النبي ﷺ كالأذان ، وكهذا الحديث فهو نوع من أنواع السنة : وهو
الاقرار .

قال : (أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَتْ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا) وفي رواية : (منعني
الحياء) أي : الحياء من الله ؛ لأنني لم أؤمر بتبليغ ذلك لكم ، (أَنِّي أَنهَاكُم عَنْهَا) هذا مما يدل على أن
هذه الكلمة من الشرك الأصغر ، فلو كانت من الأكبر لبلغها النبي ﷺ لأنه مأمور بالإنذار عن
الشرك ، (فَلَا تَقُولُوا : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ) فإذا كان تشريك مشيئة خير الخلق مع الخالق من
الشرك ، فما الظن بتشريك مشيئة غير النبي ﷺ مع الله سبحانه وتعالى ،
(وَلَكِنْ قُولُوا : مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ) وهذا هو الشاهد على ان الأكمل في ذكر المشيئة أن تنسب لله
وحده ، ولو قال شخص : ما شاء الله ثم شاء زيد فيجوز ، والشرك : ما شاء الله وزيد .